PP-376-392
P-ISSN : 2716-8093 E-ISSN : 2716-8212

الرمز التاريخي: أبعاده ودلالاته الايحائية في الشعر الفلسطيني المعاصر

Historic symbol: His dimensions and vitals in contemporary Palestinian poetry

العربي بوعمران بوعلام[1]
Boualem LARBI BOUAMRANE
1 جامعة خميس مليانة (الجزائر)
b.larbi-bouamrane@univ-dbkm.dz

عيوش نعيمة [2]
Naima AIOUCHE
جامعة خميس مليانة (الجزائر)
n.ayouche@univ-dbkm.dz

-تاريخ الاستلام: 2024/04/30 -تاريخ القبول:2024/12/17 -تاريخ النشر: 2025/10/19

الملخص:

يعتبر الرمز التاريخي من الظواهر الفنية التي تسهم في إثراء النصوص الشعرية وتعميق دلالاتها، كما أن توظيفها يزيد من جمالية النصوص ويكسبها تأثيرا وإثارة للمتلقي،وذلك ناتج عن حمل هذه الرموز حمولات دلالية عميقة، فعلى هذا الأساس اهتم الشعراء بتوظيف الرمز التاريخي للتعبير عن القضية الفلسطينية ووصف حال الأمة الإسلامية وما استتب بها من هوان في مواجهة الاحتلال الغاصب للأراضي المقدسة.

لذا نهدف من خلال هذا المقال إلى تبيان أثر الرمز التاريخي في حمل الشحنات الدلالية وتعميقها، ومدى قدرتها على إيصال التجربة الشعرية للمتلقي، ومدى احتضان المتلقي لهذه الظاهرة التي أصبحت شائعة بشكل لافت في الشعر الثوري والشعر السياسي المعبر عن هموم وآمال الأمة العربية عامة والشعب الفلسطيني خاصة.

كلمات مفتاحية: التاريخ.، الرمز.، الدلالة.، الشعر.، الفلسطيني .

Abstract

The historical symbol is one of the artistic phenomena that contributes to the enrichment of poetic texts and the deepening of their meanings. Its use increases the beauty of the texts and gives them influence and excitement to the recipient. This is the result of the carrying of these symbols with profound connotations. On this basis, poets have taken an interest in using the historical symbol to express the Palestinian cause and to describe the situation of the Islamic Ummah and the disillusionment it has taken in the face of the overwhelming occupation of the Holy Land.
Thus, through this article, we aim to show the impact of the historical symbol on the carrying and deepening of clues, the extent to which they are able to convey the poetic experience of the recipient, and the extent to which the recipient embraces this phenomenon, which has become remarkably common in

revolutionary poetry and political poetry expressing the concerns and hopes of the Arab nation in general and the Palestinian people in particular.
Keywords: History, symbol, meaning, poetry, Palestinian.

المؤلف المرسل: العربي بوعمران بوعلام، الإيميل: b.larbi-bouamrane@univ-dbkm.dz
Langues & Cultures / © 2025 The Authors. Published by the University of Adrar, Algeria.This is an open access article under the CC BY license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

1- مقدمة:

يعتبر التاريخ بحمولاته مادة خصبة يستذكرها الشاعر للتعبير عن وقائع عصره أو لاستشراف آفاقا جديدة أو لتمجيد ماض غابر، فيستلهم من أحداثه وشخصياته، ولعل من بين الشعراء الفلسطينيين الذين "نهلوا من التاريخ شيئا وافرا للتعبير عن قضاياهم الوطنية والقومية والإنسانية العادلة، ودافعوا عن كينونة الأمة التي ينتمون إليها، وقاوموا العدو الذي جردهم من أرضهم، لكنه لم يستطع تجريدهم من تاريخهم، فرسموا صورة الوطن في نفوسهم وأرواحهم قبل أن يرسموها في شعرهم" (عبيات، 2014،، صفحة 408)

ولهذا فإن القصيدة الشعرية حين تستحضر التاريخ بوقائعه أو أحداثه أو شخصياته فإنها تفتح آفاقا جديدة للقراءة والتأويل، وتوقظ الذاكرة الوجدانية للمتلقي، كونها تأتي دائما محملة بدلالات عميقة تثير التساؤل وتستوقف الفكر للتمعن، وقد تعددت طرق استحضار الشعراء الفلسطينيين للرمز التاريخي فلم يكونوا في ذلك على نهج واحد من التوظيف، فبعضهم يعمد إلى إقامة علاقة وثيقة بين السياق والرمز حتى ترى أن القصيدة تبنى عليه لاغير فيكون حضوره تأكيدا لدلالات النص وتعميقا لها، وبعضهم الآخر يُضمن الرمز التاريخي بشكل اعتباطي يخدم المعنى العام للنص.

لقد عكف الشعراء الفلسطينيين على توظيف الرمز التاريخي وتضمينه متونهم الشعرية، ليس تقديسا لهذا الرمز بقدر ما هو أداة تخدم رؤيتهم المعاصرة، لذا سنعمل من خلال دراستنا هذه على تبيان أهمية الرمز التاريخي في توجيه دلالات النص وتحقيق التماسك النصي، وقد اخترنا شعر عز الدين مناصرة و شعر أمل دنقل وتميم البرغوثي كعينة للدراسة.

2- الرمز التاريخي في شعر أمل دنقل:

يتميز شعر أمل دنقل بالحضور المكثف للأحداث التاريخية والشخصيات والرمز الأسطوري والتناص بأنواعه، هذا ما يجعل القارئ يتفاعل مع هذه النصوص ويحاول استثمار معرفته القبلية وتجاربه السابقة، ولعل أكثر ما يشد الشاعر أمل دنقل هو استحضاره للشخصيات التاريخية بكثرة، فنجد شخصية الأنبياء والخلفاء والصحابة والفرسان والقادة وغيرهم ممن تعاظمت مكانته في الشعر الفلسطيني المقاوم المعاصر.

2-1 – الشخصيات التاريخية البطولية:

الشخصيات البطولية المقاومة هي التي صنعت أمجادا لنفسها خلدتها في التاريخ، وأصبحت تحتل مكانة رمزية في ضمير الوعي الجمعي، ولعل من بين أهم قصائد أمل دنقل التي احتفت باستحضار الرمز التاريخي البطولي هي قصيدة "**خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين**"، فبالاعتماد على العنوان يستشف القارئ أن موضوع القصيدة يتمحور حول شخصية القائد صلاح الدين الأيوبي، وأكيد أن خصال وبطولات هذه الشخصية حاضرة في ذهن كل مسلم عربي، فكما نعلم أن استحضار الرمز التاريخي له علاقة وطيدة بموضوع القصيدة وعنوانها، كون هذا الأخير تعبير ممكن عن الموضوع، كما أنه يقوم بدور تأويلي فعّال لأنه يتحكم في تحديد الرؤية ويؤسس لبناء القصيدة.

كما يمكن اعتبار أسماء الشخصيات وسيلة قوية للتأويل، لأننا حين نجد اسم شخص ما حاضرا في عنوان النص، نتوقع أن يكون ذلك الشخص هو الموضوع، إذ أن هذا التوقع الخالق لمظهر التغريض وتحديدا على شكل عنوان يعني أن العناصر المغرضة تهيئ ليس فقط نقطة بداية، يتبين حولها اللاحق في الخطاب، بل إنها تهيئ أيضا نقطة بداية تفيد تأويلنا لما سيلحق، يفتتح الشاعر قصيدته بقوله:

"هَا أَنْتَ تَسْتَرْخِي أَخِيرًا

فَوَدَاعاً

يَا صَلاَحَ الدِينِ

يَا أَيُّهَا البَطَلُ البِدَائِي الَّذِي تَرَ اقَصَ المَوْتَى

عَلَى إِيقَاعِهِ المَجْنُون" (دنقل، 1985، صفحة 397)

ثم يقول:

"تَسْتَوْقِفْ الفَارِين تَخْطُبْ فِيهِم صَائِحاً " حِطِينْ"

وَتَرْتَدِي العِقَالَ تَارَةً...

وَتَرْتَدِي مَلَابِسَ الفِدَائِيِينَ

وَتَشْرُبَ الشَايَ مَعَ الجُنُودِ

فِي المُعَسَكْرَاتِ الخَشِنَة

وَتَرْفَعُ الرَ ايَةَ

حَتَّى تَسْتَرِدَ المُدُنَ المُرْتَهَنَة". (دنقل، 1985، صفحة 399)

نجد الشاعر في هذا المقطع يخاطب صلاح الدين الأيوبي، ويستحضر بطولاته وأعماله الخالدة وكأنه يعيش هذه الانتصارات، إذ ربط حضوره بالفعل المضارع الحركي (تستوعب- ترتدي- تشرب- تسترد) بتجدد دلالته واستمرارها وعدم ارتباطها بوقت أو مكان محدد، حيث استطاعت القصيدة أن ترسم لنا صورة لصلاح الدين لا تختلف كثيرا عن تلك التي ترتسم في ذهن القارئ حول هذه الشخصية التاريخية.

إلا أنه سرعان ما ينتقل من هذه الصورة، إلى رصد بطولات وانتصارات صلاح الدين الأيوبي، والمقارنة بينها وبين إخفاقات العرب المعاصرين وعبثهم بتاريخ البطولات، الذي يجسده البطل في موقعة " حطين" والذات المتكلمة هنا هي ذات عربية معاصرة، من خلال قول الشاعر:

وَنَحْنُ سَاهِرُونَ فِي نَافِذَةِ الحَنِينْ

نُقَشِّرُ التُفَاحَ بِالسِّكِين

وْنَسْأَلُ الله القُرُوضَ الحَسَنَة

فَاتِحَة:

أَمِينْ (دنقل، 1985، صفحة 399)

ومع هذا الحضور الكلي لشخصية صلاح الدين الأيوبي في القصيدة، والتي جعلها الشاعر تأخذ محور القصيدة وبؤرتها الدلالية، نجد أمل دنقل في قصيدته " لا وقت للبكاء" من ديوان " تعليق على ما حدث" والتي قالها تعليقا على وفاة جمال عبد الناصر يوم 28 سبتمبر 1970م ومطلعها:

لَا وَقْتَ لِلْبُكَاءِ

فَالعَلَمُ الَّذِي تُنَكِسِيهِ عَلَى سَرَادِقِ العَزَاءِ

مُنَكَّسْ فِي الشَاطِئِ الآخَرِ
وَالأَبْنَاءِ
يَسْتَشْهِدُونَ كَيْ يَقِيمُوهُ.. عَلَى "تُبَه"
العَلَمُ المَنْسُوجُ مِنْ حَلَاوَةِ النَّصرِوَمِنْ مَرَارَةِ النَكْبَة (دنقل، 1985، صفحة 255)

يمهد أمل دنقل قصيدته بالرثاء على الواقع العربي المأساوي، بقوله: "العلم منكس في الشاطئ الآخر"، في إشارة واضحة إلى احتلال الأرض، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى أن يتجاوز الشعب محنة الوفاة، والنظر إلى ما تعانيه الأرض، تلك الأرض التي كانت سيناء جزءا أصيلا منها، لتظهر فجأة صورة صلاح الدين في ختام القصيدة، وكأنها مطلبا ضروريا وحاجة ملحة تمثل حافزا ودافعا للإصرار والمقاومة إذ يقول:

رَأَيْتُ فِي صَبِيحَةِ الأَوَّلُ مِنْ تِشْرِينْ
جُنْدَ حِطِينْ
يَبْكُون،
لَايَدْرُونْ..
أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مَنَ المَاشِين
فَيهِ.. <u>صَلَاحَ الدِّينْ</u>(دنقل، 1985، صفحة 260)

فهذه الصورة الوصفية الحركية التي اتخذت من ضمير الحكي الذاتي (رأيت) متكئا لها، توضح أن "صلاح الدين" لم يكن موجودا بالفعل في القصيدة، إنما تم استدعاؤه بما يحمله من إرث حضاري تاريخي، من خلال مخيلة الأنا الشعرية هذا الإرث الذي اختزله الشاعر ضمنيا في حركة الشعب، الذي لا يدري أنه قادر على صناعة المستحيل، وأن يؤمن بإرثه وأن جنود معركة حطين ما هم إلا صورة كناية رمزية للشعب الجريح.

فمن منا لا يعرف القائد صلاح الدين الأيوبي، وقصة كفاحه وقصة حطين وتحرير القدس ومقاومة الصلبيين، فأصبح هنا "اسم صلاح الدين" وكأنه أيقونة مشحونة بطاقة كبيرة من الدلالة، فنجد أن أمل دنقل أتى بها كوسيلة لتنفيذ مهمة ما، وذلك ليعبر بها عن هزائم الواقع وانكساراته وتناقضاته، وأن ضعف الشخصيات المعاصرة وعدم توافر شخصيات بحجم هذه القامات الكبيرة، سبب جوهري لدى دنقل وحافز مهم لجعله يعود إلى الماضي، ينقب فيه وفي تاريخه باحثا عن الشخصيات الصالحة، للتعبير عن الحاضر وتعريته وكشف زيغه فيتناص مع شخصيات لها قيمتها الفنية والتاريخية الأيديولوجية في الماضي".

فنجد اسما واحدا فقط شبع القصيدة بسيرورة تأويلية، وأضاف شحنة دلالية، لها قيمة كبيرة داخل النص، تجعل المتلقي ينتقل إلى جو آخر من المشاعر والأحاسيس، من الضعف إلى القوة، من الحزن إلى الأمل.

2-1- الأحداث التاريخية:

ونقصد بها الأحداث الدينية التي ترتبط بالتاريخ العربي الاسلامي، والتي تركت صدى عميق في نفوس المسلمين ولعل من أهمها الصراع بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب الذي أثار الفتنة بين المسلمين، وقد وظف الشاعر أمل دنقل هذه الحادثة التي تعبر تعبيرا مباشرا عن الحاضر، وذلك من خلال إعادة صياغتها واستحضار الشخصيات التاريخية المرتبطة بهذه الحادثة، وذلك في قصيدته " حديث خاص مع أبي موسى الأشعري"، حيث نجد الشاعر يستحضر شخصية أبي موسى الأشعري، التي ترتبط بواقعة التحكيم التي جرت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وذلك بعد الفتنة الكبرى وانقسام المسلمين إلى فريقين فريق مع علي وفريق مع معاوية، والثابت تاريخيا أن علي بن أبي طالب عزل أبي موسى الأشعري عن ولاية الكوفة بعدما أقره عليها عثمان بن عفان، لأنه حذر أهل

الكوفة من الاشتراك في القتال في صف علي أو معاوية، وأمرهم بالقعود عن الفتنة حقنا لدماء المسلمين وقد أدت سياسته الداعية إلى حقن الدماء إلى المزيد من إراقة الدماء.

حاول أمل استثمار وقائع هذه الحادثة التاريخية في قالب فني وجمالي، من خلال قصيدته "حديث خاص مع أبي موسى الأشعري"، ليحيل بها إلى واقع يعيشه الشاعر حينما يرى أفراد مجتمعه غافلين، لا يوجد هناك صوت يوعيهم بالخطر المحدق بهم، هناك فقط من هو مثل أبي موسى الأشعري في زمانه يدعوهم إلى البقاء حياديا، يوظف الشاعر هذه الحادثة التاريخية ويشحنها بالدلالة المعاصرة، يتقمص الشاعر في قصيدته دور شخصية أبي موسى الأشعري، فينهج منهجه ويحذو خطواته لا أمامه ولا خلفه، ويضعه موضع الاتهام بحيادته.

انطلاقا من العنوان الرئيسي " **حديث خاص مع أبي موسى الأشعري**" يظهر محاورته لهذه الشخصية، ومحاولة إثبات بطلان تحكيمه وأن الموقف الذي اتخذه ليس صائبا مطلقا، وهذا ما أدى إلى عواقب جد وخيمة، كما نجد الشاعر يضع عنوانا فرعيا آخر هو عبارة عن المقولة التي احتكم لها أبي موسى الأشعري " **حاذيت خطو الله، لا أمامه، لا خلفه..**" استحضر أمل دنقل هذه المقولة ليدلل على هذه الواقعة التاريخية ويثبت بطلان هذه المقولة، ونلاحظ أن المقاطع التي تلتها ما هي إلا اثبات على بطلانها حيث يقول الشاعر:

"إطَارسَيارَتِه مُلَوث بالدَم
سارَ وَلَمْ يَهْتَمْ
كُنْتُ أَنا المُشَاهدُ الوَحيد
لَكنَني... فَرَشْتُ فَوْقَ الجَسَد المُلْقَى جَريدَتي اليَوْميَةِ
وَحينَ أَقْبَلَ الرجَالُ منْ بَعيدْ...
مَزَقْتُ هَذا الرَقْمَ المَكْتوُب في وُرَيْقَةٍ مَطْوِيَةٍ
وَسِرْتُ عَنْهُم.. مَا فَتَحْتُ الفَمُ؟" (دنقل، 1985، صفحة 181)

من خلال هذا المقطع الشعري نلاحظ إعادة تركيب لهذه الواقعة التاريخية بمشاهد مماثلة، تقمص فيها الشاعر دور أبي موسى الأشعري، الذي كان شاهدا ومحكما إلا أنه آثر الحياد، وصاحب السيارة الذي قتل ومضى دون مبالاة والذي يحيل إلى معاوية بن أبي سفيان، أما السيارة الملطخة بالدماء هي الوسيلة والطريقة الشنيعة والمكيدة التي من خلالها آلت بها الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان، والدم هو دم علي بن أبي طالب الرامز إلى الحق الضائع من جراء الحادثة.

هي صورة أعاد أمل دنقل رسمها بدقة متناهية، تدل على براعة في استثمار التاريخ العربي الذي أعاد نفسه وعايشه الشاعر بحيثياته، استشهد الشاعر بالعديد من المشاهد والمواقف التي استحضرها ليبين بطلان تحكيم أبي موسى الأشعري، مثل استشهاده بعروس النيل التي قذفها قومها في النهر، ليرضوه وعندما انتهوا ذهبوا يمرحون ويستمتعون بإقامة حفلات الرقص والشواء حيث يقول الشاعر:

"رَأَيْتُهُم يَنْحَدِرُونَ فُي طَرِيقِ النَّهْرِ
لِكَيْ يُشَاهِدُوا عَرُوسَ النِيلِ – عِنْدَ المَوْتِ – فِي جَلْوَتِهَا الأَخِيرَةِ
وَ انْخَرَطُوا فِي الصَلَوَاتِ والبُكَاءِ
وَجِئْتُ.. بَعْدَ أَنْ تَلَاشَتْ الفَقَاقِيع، وَعَادَتْ الزَوَارِقُ الصَغِيرَة
رَأَيْتُهُمْ فِي حَلَقَاتِ البَيْعِ والشِراءِ
يُقَايِضُونَ الحُزْن بالشّوَاءِ؟
تَقُولُ لِي الأَسْمَاك،
أَنَّ طَعَامَهَا الأَخِيرِكَانَ لَحْمًا بَشَرِيًا" (دنقل، 1985، صفحة 181)

فالهدف المنشود الذي يريد أن يصل إليه الشاعر، هو أن أبي موسى الأشعري آثر الحياد اتجاه الفتنة، فوقعت الكارثة وتبين أن تحكيمه وحياده باطل، كذلك أفراد مجتمعه آثروا الحياد والصمت اتجاه ما حدث لوطنهم من قمع، فالحياد ههنا جريمة كبرى إذا كان الوطن بحاجة إلى مواقف، نلاحظ أن هذه القصيدة كتبت في مارس 1967م أي قبل النكسة والهزيمة بثلاثة أشهر وهي بذلك استشراف للنكسة أو نبوءة شعرية حذرت من الهزيمة قبل وقوعها مثلما حذرت "زرقاء اليمامة" قومها من الخطر المهدد.

هذا ما يبين لنا قدرة الشاعر على الاستشراف نتيجة لدرجة الوعي بالواقع والالتصاق به، ما يمكنه بأن يحس بما سيحدث له لإحساس الأم بوليدها، ويعبر عن هذا الاستشراف لما آلت إليه الأحداث بعد سوء تحكيم أبي موسى الأشعري بقوله:

"وَيَكُونُ عَامٌ.. فِيهِ تَحْتَرِقُ السَنَابِلُ وَالضُرُوعُ
تَنْمُو –حَوَ افِرنا- مَعَ اللَعَنَات – مِنْ ظَمَأٍ وَجُوعٍ
يَتَزَاحَفُ الأَطْفَالُ فِي لَعْقِ الثَّرَى
يَنِمُو صَدِيدَالصَمْغِ فِي الأَفْوَاهِ
فِي هَدْبِ العُيون فَلَا تَرَى
تَتَسَاقَطُ الأَقْرَاطُ مِنْ آذَانِ عَذْرَاوَاتِ مَصْر
وَيَمُوتُ ثَدْي الأُمُ.. تَنْهَضُ فِي الكَرَى
تَطْهُو – عَلَى نِيرَانِهَا- الطِفْلَ الرَّضِيع؟" (دنقل، 1985، صفحة 184)

فاستدعاء الشخصيات التاريخية عند أمل دنقل لم يكن من قبيل مواجهتها، بل تأتي تلك الشخصيات محملة بتاريخها وكثير من تفاصيله ليتحول إلى شخص يعيش في زماننا.

إذ تعمل المعرفة الخلفية للوقائع التاريخية على تفعيل شبكة العلاقات التي تربط معاني الوحدات اللغوية في النص إذ تتأسس انطلاقا من كون المستمع/القارئ حين يواجه خطابا ما لا يواجه وهو خاو الوفاض وإنما ستعين بتجاربه الاقة بمعنى أنه لا واجه وهو خال الذهن أي يستعين بالمعارف القبلية المتراكمة إذ اثناء مواجهته للنص يختار من المخزون الهائل من المعلومات ما يلائم طبيعة النص ومقاصده.

لعل من أهم القصائد التي كتبها أمل دنقل وتثير انتباه القارئ ما يجعله يستحضر العديد من العارف القبلية هي قصائد:

- البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.
- مراثي اليمامة.
- لا تصالح.

إذ نجد أمل دنقل في ديوانه "أقوال جديدة عن حرب البسوس" باستحضار العديد من شخصيات الحوادث التاريخية " لتدلي بشهادتها التاريخية حول رؤيتها الخاصة ومن الطبيعي أن يكون لكل هذه الشخصيات شهادتها المختلفة عن شهادة الأخرى"، استعان في قصيدته لا تصالح بوصايا كليب لأخيه المهلهل اذ استوعب ما جاء في الوصايا العشر التي يقول فيها كليب موصيا أخاه الزير سالم:

وَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ يَا مُهَلْهِلْ وَصَايَا عَشْرٍ فَهُمْ بِالأَكِيد
فَأَوَلَ شَرْط أَخُوي لَا تُصَالِحْ وَلَوْ أَعْطُوكَ زَيْنَاتَ النُهُود
وَثَانِي شَرْط أَخُوي لَا تُصَالِح وَلَوْ أَعْطُوكَ مَالاً مَعَ عُقُود
وَثَالِثَ شَرْطٍ أَخُوي لَا تُصَالِح وَلَو أَعْطُوكَ نُوقًا مَعَ عُهُود

جعل أمل دنقل من هذه الوصية بؤرة أساسية في قصيدته الشعرية، وكانت عبارة (لا تصالح) بمثابة اللازمة التي تكررت في أغلب مقاطعه الشعرية، تعد حرب البسوس أشد الحروب ضراوة في التاريخ الجاهلي وأطولها مدة(494- 534)، قامت بين بني بكر وتغلب

حيث استمرت 40 سنة، وترجع أسباب هذه الحرب إلى أن كليبا قتل ناقة البسوس خالة جساس بن مرة، لأنها كانت ترعى في حمى كليب، فأغضب ذلك جساسا وانتهى به الغضب إلى أن قتل كليبا، فكتب وصايا لأخيه الزير سالم، طالبا منه الثأر من بني بكر، خلدت حرب البسوس وأخذت سيرة بطلها الزير سالم صدى واسعا، في التراث العربي القديم والحديث والمعاصر.

استحضر دنقل الملك كليب نفسه في ساعته الأخيرة، وأدلت اليمامة التي كانت ترفض الصلح بشهادتها، أما بقية الشخصيات فلم تدل بأقوالها كما وعد أمل دنقل، وقبل أن تكتمل شهادة قصائده في ذهنه المبدع، وقبل أن يقتنع ذهنه المبدع بصيغة ابداعية أخيرة وقبل أن ينتقم الزير سالم لمقتل أخيه كليب، وقبل أن تضع الحرب اوزارها لتظل الرؤية باحثة عن حل يكتمل في الابداع أو يتحقق في الواقع.

تعتبر قصيدة "لا تصالح" "من أهم قصائد ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس، فالوصايا العشر في السير الشعبية، جاءت كلها لنهي المهلهل عن قبول الصلح مع من قتلوا كليبا غدرا، حتى ولو لم يبقى أحد في القبيلة قادر على حمل السيف، ووصايا أمل دنقل موجهة إلى "أنور السادات" لعدم قبول الصلح، مهما كانت المغريات، وقد ذكر الشاعر في التذييل "أنه حاول أن يجعل من كليب رمزا للمجد العربي القتيل أو الأرض العربية السليبة التي تعود إلى الحياة مرة أخرى ولا ترى سبيلا لعودتها أو بالأحرى لإعادتها إلا بالدم وبالدم وحده". (دنقل، 1985، صفحة 354) إذ يقول:

"لَا تُصَالِحْ وَلَوْ مَنَحُوكَ الذَهَبْ
أَتَرَى حِينَ أَفْقَأُ عَيْنَيْكَ
ثُمَ أُثْبِّتْ جَوْهَرَتَيْن مَكَانَهُمَا
هَلْ تَرَى.....؟
ثُمَ يَأْتِي بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الحُجَجِ كَذِكْرِيَات وَالعَوْدَةِ إِلَى الوَرَاءِ
هِيَ أَشْيَاء لَا تُشْتَرَى.....
ذِكْرَيَاتِ الطُفُولَةِ بَيْنَ أَخِيكَ وَبَيْنَك
حِسُّكُمَا فَجْأَةً بِالرُجُولَةِ
هَذَا الحَيَاءُ الذِّي يَكْبُتُ الشَّوْقُ حِينَ تُعَانِقُهُ
الصَّمْتُ مُبْتَسِمَيْنِ لْتَأْنِيبِ أُمِكُمَا
وَكَأَنَكُمَا مَا تَزَالَان طِفْلَيْن." (دنقل، 1985، صفحة 325)

يتمحور موضوع الخطاب في قصيدة "لا تصالح"، حول عدم قبول الصلح، الذي يعني المساومة على شرف الأمة، إذ ظلت عبارة لا تصالح لازمة تتردد مع بداية كل مقطع، كاشفة عن إصرار الشاعر على رفض الصلح، استطاع أمل دنقل أن يجعل من القصيدة تمثل صوتا جماعيا بصرخاته وتوجعاته، ومآسيه المشتركة، وأن يمثل هذه الآهات بوقائع مماثلة، عانت منها هذه الجماعات بتاريخها المشابه لهذه الواقعة، فالقارئ العربي يتعاطف مع شخصية الزير سالم، الذي يمثل رمزا للمقاتل الشريف الذي يصون عرضه وشرفه ويحمي كرامة ذويه، واسترداد حق المظلوم، وهو بهذا يشكل اطارا ساميا للشخصية العربية المنشودة، أصبحت بذلك القصيدة وكأنها وثيقة سياسية تدين الواقع العربي، وتحذر من الوقوع في فخ الصلح والتطبيع مع الكيان الصهيوني.

إن بعث الماضي الذهبي هو "في الحقيقة محاولة الشاعر خلق واقع فني، يهدف من خلاله إلى إنجاح عملية التوصيل الشعري، وتعميق الحس القومي، خصوصا عندما يربط بين الحاضر والماضي، ويضفي على ذلك الرباط نفحات من السخرية المريرة باستحضار السيوف بدل الفرسان، في مجال يتجاوز التوظيف الجمالي للكلمة (الصورة الشعرية الناشئة عن المجاز المرسل) إلى تعميق الدلالة الزمنية لها". (المساوي، 1994، صفحة 294)

ويضيف قائلا:

"يَقُولُ: هَا نَحْنُ أَبْنَاءَ عَمٍ،
قُلْ لَهُمْ: أَنَّهُمْ لَمْ يُرَاعُوا العُمُومَةَ فِيمَنْ هَلَكْ
وَاغْرَسِ السَّيْفَ فِي جَبْهَةَ الصَّحْرَاءِ
إِلَى أَنْ يُجِيبَ العَدَمْ
إِنَّنِي كُنْتُ لَكَ
فَارِساً
وَأَخاً
وَ أَباً
وَمَلِكْ" (دنقل، 1985، صفحة 327)

يشير النص هنا إلى علاقة كليب بجساس فكلاهما أبناء عمومة، ومثلما تروج له الدعوة المعاصرة بأن اليهود والعرب أبناء عمومة، وهنا يغلب صوت كليب، حينما يحذر من الانسياق لهذه الدعاوي المعاصرة، التي كان يروج لها اليهود، لأن اليهود لا عهد لهم ولا ذمة، فهم ينقضون العهد ويغدرون، فقاتل كليب غريب مهما كانت درجة القرابة.

2-3- الشخصيات الأسطورية:

الأسطورة عند أمل دنقل تمثل التاريخ وليس الخرافة، تتجسد في هيئة شخصيات لها بعدها الانساني الذي يتجاوز حدود التخييل، ومن بين الشخصيات التي لقت حضورا كاملا في شعر أمل دنقل " زرقاء اليمامة"، وهي تعد من أوفر الشخصيات التراثية حظا في اهتمام شعرائنا المعاصرين، إذ جعلها الشاعر عنوانا لمرحلة انكسر فيها الشعب العربي أمام بني صهيون عام 1967م، من خلال قصيدته " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" استحضرها لكي تكون شاهدة على ما يعيشه في حاضره، ولكي تشهد التاريخ يعيد نفسه مرة أخرى وأن هناك أمثالها من راحوا ضحايا مثله، استحضرها أيضا لما لها من بصيرة (رؤية للأشياء البعيدة)، هذه الرؤية التي تتحول عند الشاعر المعاصر إلى رؤيا للواقع والحياة.

2-1- من هي زرقاء اليمامة: هي "ابنة رباح بن مرة الطسمي، وكانت متزوجة من جديس، وعندما جاء حسان ابن التبع ملك حيمر لهاجم قومها، رأت جيشه على مسيرة ثلاثة أيام، وأنذرت قومها فلم يصدقوها، وكان حسان قد عرف قدرة الزرقاء على الرؤية عن بعد، فأمر جنوده أن يقطع كل منهم شجرة ويحملها على كتفه تظليلا للزرقاء، ففعلوا وعادت الزرقاء تخبر قومها بمسيرة الأشجار القادمة عليهم، فكذبوها حتى داهمهم جيش حسان فأبادهم، وأتى بالزرقاء ففقأ عينها، وبالتالي هذه الحادثة التاريخية تحمل العديد من المعطيات البارزة:

- قدرة الزرقاء على التنبؤ.
- هذه القدرة جعلت بينها وبين قومها مسافة كبيرة من اللامبالاة والإهمال.
- أنها تحملت وحدها نتيجة هذا الإغفال وما ترتب عليه.
- سلبها العدو القدرة على الرؤية من بعد بفقئه عينها، فغابت الدلالة الاستشرافية للمستقبل". (الطويرقي، 2009، صفحة 227)

جعل أمل دنقل زرقاء اليمامة عنوانا على مرحلة انكسر فيها الشعب العربي، حيث وظف أحد الجنود الذين شاركوا في المعركة ليبكي بين يدي الزرقاء، العرافة التي تنبأت بالخطر قبل وقوعه يقول:

"أَيَّتُهَا العَرَّافَةُ المُقَدَسَةُ
جِئْتُ إِلَيْكِ مُثْخَنًا بِالطَّعَنَاتِ وَالدِّمَاء

أَزْحَفُ فِي مَعَاطِفِ القَتْلَى وَفَوْقَ الجُثَثِ المُكَدَسَةِ
مُنْكَسِرَ السَّيْف، مُغْبَرَ الجَبِين وَالأَعْضَاء
أَسْأَلُ يَا زَرقَاءْ..
عَنْ فَمِكِ اليَاقُوتِ عَنْ نُبُوءَةِ العَذْرَاء
عَنْ سَاعِدِي المَقْطُوعِ..وَهُوَ مَا يَزَالُ مُمْسِكًا بِالرَّايَةِ المُنَكَّسَةِ" (دنقل، 1985، صفحة 121)

حيث جعل من الزرقاء بؤرة الحدث، ساهمت بشكل كبير في بناء دلالة القصيدة، استعار الشاعر ما حدث للزرقاء عندما قدمت لقومها النصح عن قوافل الغبار، ومسيرة الأشجار، فكذبوها ولم يصدقوا رؤيتها، حتى وقعت الواقعة وكانت الفاجعة:

"قُلْتُ لَهُمْ مَا قُلْتُ عَنْ قَوَافِلِ الغُبَارْ
فَاتَّهَمُوا عَيْنَيْكِ يَا زَرْقَاء بَالبَوَارِ
قُلْتُ لَهُمْ مَا قُلْتُ فِي مَسِيرَةِ الأَشْجَارِ
فَاسْتَضْحَكُوا مِنْ هَمِّكِ الثَّرْثَارْ" (دنقل، 1985، صفحة 125)

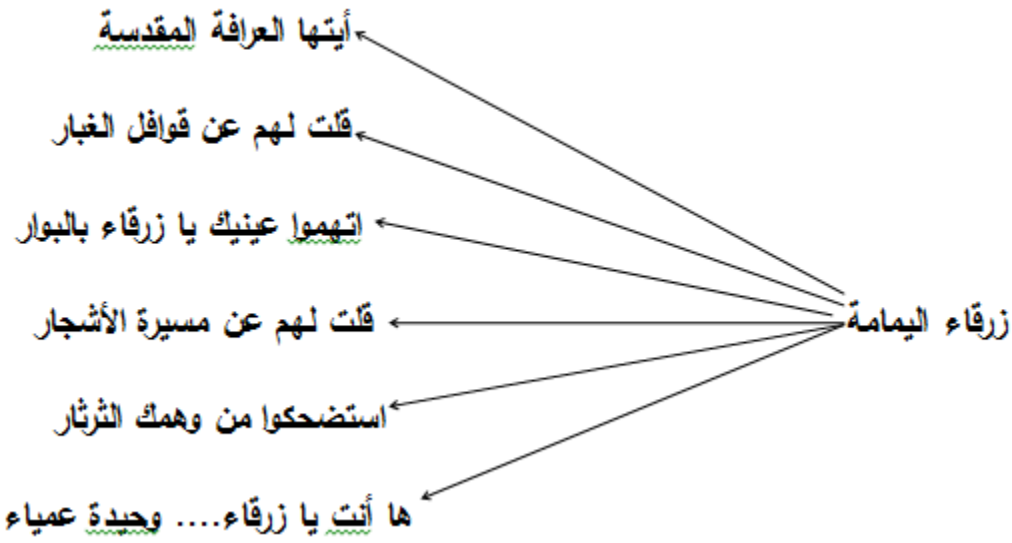
فالشاعر هنا وضع الجندي في مرتبة زرقاء اليمامة، استعار له نفس الأحداث، حيث فر المسؤولون عن النكسة، مخلفين الموت، والحطام، والدمار، والتهجير، والتشرد، وأصوات الثكالى واليتامى:

"وَحِينَ فُوجِئُوا بِحَدِ السَّيْفِ قَايَضُوا بِهَا
وَلْتَمَسُوا النَجَاةَ وَالفِرَار
وَنَحْنُ جَرْحَى القَلْبِ
جَرْحَى الرُوحِ وَالفَمِ
لَمْ يَبْقَى إِلَّا المَوْت
وَالحُطَامْ
وَالدَمَارَ
وَصِبْيَةٍ مُشَرَدُونَ يَعْبُرُون آخِرَ الأَنْهَارِ
وَنِسْوَةٌ يُسَقْنَ فِي سَلَاسِلَ الأَسْرِ" (دنقل، 1985، صفحة 125)

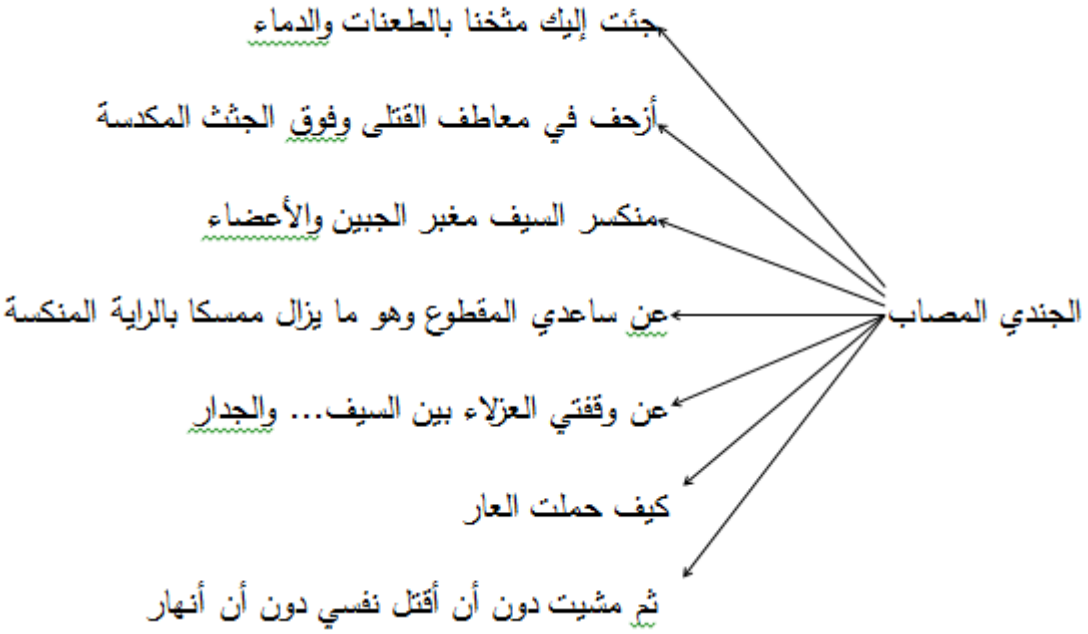
وكأن شخصية زرقاء اليمامة أصبحت عنوانا مناسبا لحقبة من تاريخنا المعاصر، والشاعر نجده يورد هذه الأحداث في شكل درامي سردي، مفادها عدم سماع المسؤولين عن البلد، للتحذيرات والنصائح لذا حلت الهزيمة، حيث مزج بين الحاضر والماضي وكأنما التاريخ يعيد نفسه في الواقع العربي.

وقد تم التغريض في قصيدة " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" كما يلي:

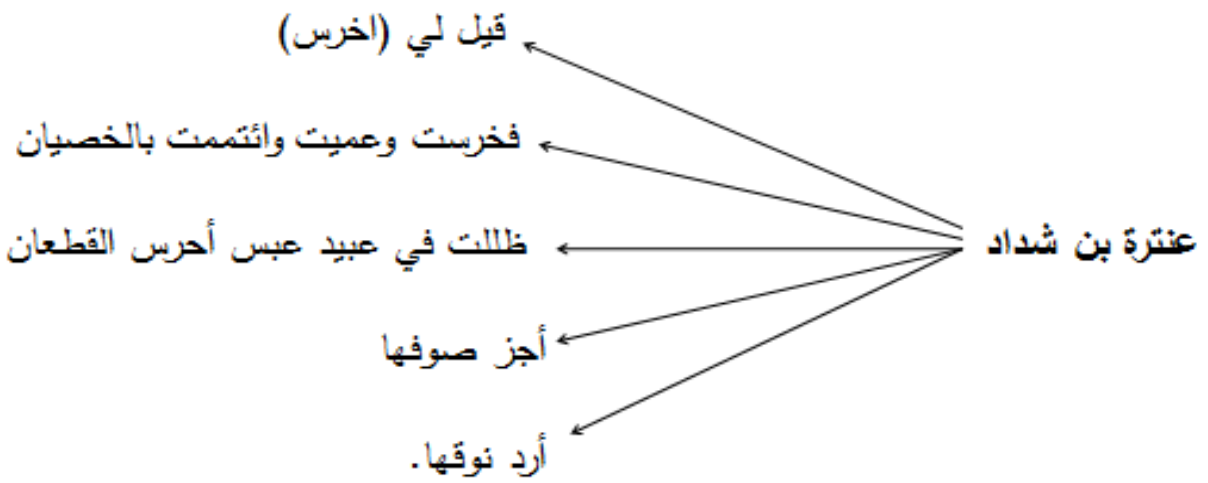
- الإحالة إلى شخصية زرقاء اليمامة واستحضار بعض من الوقائع التاريخية التي ارتبطت بهذه الشخصية.
- الإحالة إلى شخصية عنترة بن شداد وإسناده ببعض الأوصاف التي لازمته في العبودية.
- الإحالة إلى الجندي المصاب في الحرب التي دارت بين مصر والكيان الصهيوني.



نجد أن هذه الأفعال ارتبطت كلها بزرقاء اليمامة، كونها الشخصية المركزية، التي تبنى عليها القصيدة، إلا أن الشاعر استحضر شخصيات أخرى ضمنها في قصيدته، وهي شخصية عنترة بن شداد، والجندي المصاب في الحرب على الكيان الصهيوني، ونجد أن شخصية الجندي هي الشخصية الرئيسية في هذه القصيدة، وأنه هو من استحضر زرقاء اليمامة وعنترة بن شداد.



في حين نجده يستحضر شخصية "عنترة بن شداد"، ويجعله معادلا لأبناء أمته الذين سلبت السلطة إرادتهم، وقد تمثل ذلك في إسناد بعض الأفعال التي تدل على الخضوع والاستسلام كما هو مبين كالتالي:



فنجد أن التغريض بذكر شخصية زرقاء اليمامة، والأحداث التي ارتبطت بها في هذه القصيدة، بدءا من العنوان، خلق نوع من الالتحام والانسجام الدلالي بين كل المقاطع الشعرية، وبهذا "يمكن اعتبار النص تأسيسا لبطاقة هوية مفصلة لا تحيل إلى ذات خارجية، وإنما إلى ذات موجودة في النص، وحين نبحث في مقصد الرسالة التي يبلغنا النص إياها، نعقد صلات مبهمة بين ذات النص وبين الذات الكاتبة للنص" (خطابي، 1991، صفحة 295).

ويمكن أن تتداعى الذوات داخل القصيدة الواحدة لتشهد زخما من الأحداث، مما يجعل القارئ أمام زخم من الدلالات، تستوقفه للتأمل لربطها مع موضوع القصيدة، وهذا ما نجده في قصيدة (لا وقت للبكاء) حيث يقول الشاعر:

"رَأَيْتُهَا الخَنْسَاءُ
تَرْثِي شَبَابَهَا المُسْتَشْهِدِينَ فِي الصَحْرَاء
رَأَيْتُهَا أَسْمَاء
تَبْكِي إِبْنَهَا المَقْتُولُ فِي الكَعْبَةِ
رَأَيْتُهَا شَجَرَةَ الدُّر
تَرُدُ خَلْفَهَا البَابَ عَلَى جُثْمَانِ (نجم الدين)
تُغْلِقُ صَدْرَهَا عَلَى الطَعْنَةِ وَالسَكِين
فَالجُنْدُ فِي الدَلْتَا
لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى الوَرَاء
أَوْ يَدْفِنُوا المَوْتَى
إِلاَّ صَبِيحَةَ الغَدِ المُنْتَصِرْ المَيْمُون" (دنقل، 1985، صفحة 258)

استحضر دنقل هنا العديد من الشخصيات في مقطع واحد، وبشكل تتابعي تراكمي، مما يجعل القارئ يقف إزاء كل شخصية، محاولا التكهن بسبب استحضارها دفعة واحدة، وما الرابط الذي يجمع بينها، وكذا علاقة الماضي بالحاضر، كونها شخصيات تاريخية، وبالتالي هناك آفاق تأويلية واسعة بانتظار القارئ لشعر أمل دنقل.

3- الرمز التاريخي في شعر تميم البرغوثي:

أما عن الرمز التاريخي في شعر تميم البرغوثي فنجده حاضرا في قصائده، ونتلمس ذلك من خلال أسماء الشخصيات، والأماكن، واستحضار الحوادث والوقائع، حيث نوع البرغوثي في استحضار الأحداث التاريخية ومواقفها وقضاياها ورموزها، وأبدع في استخدامها بما يتلاءم مع الواقع المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني حاليا.

3-1- الرمز الديني:

يزخر شعر تميم البرغوثي بالعديد من الرموز الدينية المستوحاة من القرآن الكريم أو حتى من الانجيل، والتي تتلاءم مع القضية الرئيسية للشاعر وهي الحديث عن الوطن والأرض المقدسة، فوظف العديد من القصص القرآنية والشخصيات الدينية، نستهلها بشخصية المسيح عيسى بن مريم عليه السلام التي احتلت مساحة واسعة جدا في دواوين تميم البرغوثي ، وذلك بسبب ما يمثله من رمز للأمل وخلاص البشرية من الظلم والاضطهاد، إذ تحدث عن صلب المسيح عليه السلام كما أوردها الإنجيل من أجل التنويه إلى العديد من الإيحاءات، نظرا لتطابقها مع الواقع المرير الذي يعيشه الإنسان في هذا العصر، هذا ما ساهم في جعل القصيدة تنسجم دلاليا، وتترابط الدلالات لتحيل إلى ذات واحدة، هي شخصية عيسى ابن مريم عليه السلام بكل ما توحيه من معاني، يقول في قصيدته " الجليل":

"جَلِيل هُوَ الوَلَد النَاصِري الذِّي يَرْتَقِي
كُل يَوْم صَلِيبَا
فَيَحْمِلُهُ لَا أَحَد منْ مِنْهُمَا يَحْمِل الآنَ صَاحِبَيْهِ
وَيسِير إِلى القُدْسِ مُسْتَشْهِدًا حَافِيًا
وَيَحْسَبُه النَاسُ جُغْرَافِيا" (البرغوثي، 2012، صفحة 17)

فهنا يحيل الشاعر إلى الولد الناصري (الفلسطيني)، الذي يرتقي كل يوم إلى العلا شهيدا في سبيل الوطن والقدس، دفاعا عن أرضه ومقدساته دون أن يجد من يمد له يد العون، ويغيثه، وعليه نستشف أن شخصية عيسى عليه السلام استخدمها الشاعر رمزا للاستقامة لما تحمله من الإيذاء والاضطهاد في حياته وتارة أخرى رمزا للوطن والبقاء، فوظف حادثة الصلب والفداء، وهو بذلك يرمز إلى البطل الفلسطيني، الذي يفدي ويضحي بنفسه في سبيل وطنه، ويتحمل العذاب من أجل حرية شعبه وكرامته.

على غرار قصيدة "الجليل" نجد الشاعر يستحضر شخصية النبي عيسى بن مريم عليه السلام في العديد من القصائد منها: قصيدة " قبلي ما بين عيني اعتذارا يا سماء"، قصيدة "هيبة العرش الخلي من الملوك"، قصيدة "ابن مريم" ، حيث ضمنها مساحة واسعة جدا وذلك بسبب ما يمثله من رمز للبحث والأمل وخلاص للبشرية من الظلم والاضطهاد، إذ نجده يتحدث عن صلب المسيح عليه السلام كما أوردها الإنجيل، من أجل التنويع إلى العديد من الإيحاءات نظرا لتطابقها مع الواقع المرير الذي يعيشه الإنسان في هذا العصر، يقول في قصيدة " ابن مريم":

"لَقْدْ صَلَبُوهُ فَمَاذَا بِرَبِكِ تَنْتَظِرِينْ
لَقْدْ صَلَبُوه وَلَيْسَ مَسِيحًا وَلَا ابْنَ الله
لَقْدْ صَلَبُوه لِسَرِقَتِهِ المَالَ أَوْ قَولِهِ الزُورَ أَوْ سَفْكِهِ الدَّم أَوْ أَيْ ذَنْبٍ جَنَاه
وَلَمْ يَصْلِبُوهُ لِدَعْوَى وَدِينْ
فَمَاذَا بِرَبِكَ تَنْتَظِرِينْ" (البرغوثي، 2012، صفحة 93)

نجد الشاعر في قصيدته هذه يعرض بعض الحقائق التي مر بها النبي عيسى عليه السلام، كحادثة الصلب، ويظهر ذلك في قوله:" صلبوه"، وإدعاء أن سيدنا عيسى هو ابن الله، ويظهر ذلك في قوله:" ليس مسيحا ولا ابن الله، حاول من خلال ذلك أن يشير إلى الواقع المرير والظلم الذي يعيشه الفلسطيني، مستندا إلى قصة المسيح ابن مريم عليه السلام وما تعرض له من قبل قومه.

أما في قصيدته" قبلي ما بين عينيا اعتذارا ياسماء" يتناص تميم تناصا دينيا مع الإنجيل، حيث يتحدث عن حادثة الصلب حسب ما وردت في الإنجيل حيث يقول:

"لَمْ نَكُنْ نَدْعُو لِدِينٍ أَوْ إِمَامَة
أَوْكِتَابٍ يُزْعِجُ الكُهَّانَ يَوْمَ السَّبْت
لَمْ نَطْرُدْ مِنَ الهَيْكَلِ تُجَّارَالفَضِيلَة
نَحْنُ لَسْنَا مُسَحَاء
نَحْنُ كُنَّا لَيْلَةَ الصَّلْبِ نَدُقُّ الكَفَّ فَوْقَ الكَفّ
مَا زِدْنَا عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا
نَحْنُ مَنْ صَاحَ عَلَيْهِ الدِّيكُ أَلْفاً
لَمْ نَقُلِ لِلرُومِ حَرْفاً
وَبَكَيْنَا فِي مَسِيحِ الله إِلْفاَ
لَا نَبِياً" (البرغوثي، 2012، صفحة 99)

استحضر الشاعر هنا قصة صلب المسيح كما وردت في الانجيل، " فالمسيح جاء بدين جديد ليفتن الناس به عن دين القيصر الروماني، مما أثار حفيظة الكهان، وثم دخل المسيح الهيكل، ووجد التجار يبتاعون فيه، والصيارفة يتعاملون، بأمور المال فقلب كل ذلك وأوقف التجار عن هذا العمل، نظرا لأن الهيكل وجد لعبادة الرب وليس للتجارة، وهنا أدرك المسيح وهو بين تلامذته بدنو نهايته، وأخبرهم بأن أحدا منهم سيسلمه للكهنة، وأنهم جميعا سيتخلون عنه فأخبره أحدهم "بطرس" أنه لن يتخلى عنه وإن تخلى عنه الجميع، فيخبره المسيح بأنه سينكره عندما يلقى القبض عليه قبل أن يصيح الديك ثلاثا ولكن بطرس يعد المسيح بأنه لن ينكره أبدا وهذا ما لم يحصل إذ أنكر بطرس معرفته بالمسيح حين ألقي القبض عليه، ومن ثم يلقى القبض على المسيح ويمثل للمحاكمة وثم يصلب ويتخلى عنه طلابه وينكره بطرس ثلاثا ويصلب حتى يصرخ صرخة عظيمة يهتز لها الكون تنبؤ عن موته، ويدفنه أحد أتباعه إلا أنه فيما بعد وكما أخبر تلاميذه بأنه سيقوم بعد ثلاثة أيام من دفنه، يأتيه ملاك ويخرجه من القبر، فنجد أن تميم استقى من قصة الصلب الانجيلية دلالات متنوعة وظفها للحديث عن شعبه الذي صلب ظلما إذ أنه لم يدعو لدين جديد ولم يزعج الكهنة فلماذا يصلبوه كل يوم.

كما نجده يوظف المسيح بتقنيات متعددة تحمل العديد من الإيحاءات، وهذا ما نجده في قصيدته " يا هيبة العرش الخلي من الملوك"، حينما تطرق إلى فكرة المسيح المنتظر الذي سيخلص البشرية من الظلم ويعم العدل ربوع الأرض حيث يقول:

"إِنَّ المَسِيحَ المُنْتَظَرْ
مُسْتَقْبِلٌ فِي ظِلِّهِ نَمَتْ التَوَارِيخُ السَوَالِفَ كَالشَجَرِ
وَاللهُ أَعْلَمُ مَا يَكُونُ إِذَا ظَهَرَ
إِنِي أَرَى مُسْتَقْبَلًا طِفْلًا
يُحَاوِلُ أَنْ يَخُطَ شَوَارِبًا وَيَزِيدُ طُولًا
كَيْ تُنَاسِبُهُ دُرُوعٌ قَدْ طَرَقْنَاهَا لَهُ مِنْ أَلْفِ حُلُم" (البرغوثي، 2012، صفحة 30)

ويقول في المقطع الأخير من نفس القصيدة:

"وَمَرَّ عَنْكَ النَّاسُ لَمْ يَتَأَمَلُوكَ
يَأَيُّهَا الطِّفْلُ الذِّي مِنْ بَيْتِ لَحَمْ
لَا تَظُنَّ بِأَنَّهُمْ يَبْغُونَ عَوْدَتَكَ الجَلِيلَةَ هَاهُنَا
وَالله لَوْ عَلِمُوا بِأَنَّكَ قَادِمٌ حَقًّا
لَخَاضُوا أَلْفَ حَرْبٍ مَرَة
لِيُؤَجِلُوكَ" (البرغوثي، 2012، صفحة 35)

وبهذا تتكاثف الدلالات في القصيدة، لتحيل إلى شخصية المسيح عليه السلام، هذا ما يجعلها تبدو لوهلة أكثر تماسكا، وبالتالي ندرك أهمية التغريض في تحقيق انسجام النصوص.

3-2- الشخصيات البطولية:

وظف الشاعر تميم العديد من الشخصيات التاريخية البطولية، ومن بينها شخصية الظاهر بيبرس، الذي أكمل انتصارات القائد "قطز" على المغول، في معركة عين جالوت، حيث أتى مصرا عبدا ضعيفا، ثم صار قائدا عظيما منتصرا،حيث يقول في قصيدته (في القدس):

"فِي القُدْسِ مَدْرَسةٌ لِمَمْلُوك أَتَى مِمَا وَرَاء النَّهْرِ
بِاَعُوهُ فِي سُوقِ نَخَاسَةٍ فِي أَصْفَهَان
لِتَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَاد أَتَى حَلَبًا
فَخَافَ أَمِيرُهَا مِنْ زُرْقَةٍ فِي عَيْنَهِ اليُسْرَى
فَأَعْطَاهُ لِقَافِلَةٍ أَتَتْ مِصْرَا
فَأَصْبَحَ بِضْعَةَ سِنِينَ غَلَّابَ المَغُول
وَصَاحِبَ السُلْطَان" (البرغوثي، 2012، صفحة 08)

فهنا نرى البرغوثي لا يستحضر التاريخ افتخارا، وإنما رثاء لما آلت إليه مدينة القدس، التي تعبر عن حال الفلسطينيين والمسلمين، من تطميس وتدنيس لمعالمها، من قبل المحتل الغاصب، كما نلمس أملا بصحوة الأجيال بتذكيرهم بالأمجاد والأفذاذ الذين خلدهم التاريخ، ونزعة تفاؤلية بمستقبل أحسن.

وبالتالي القصيدة امتزجت بالرثاء على الأمة الاسلامية وعلى مدينة القدس، وكذا الأوضاع المزرية التي يعيشها الشعب الفلسطيني من اغتصاب لمقدساته وأراضيه، فجاب الشاعر الماضي والحاضر كما تطلع للمستقبل، فجاءت قصائده تحمل مختلف المشاعر من بكاء ورثاء ورجاء، هي أحاسيس تركت الشاعر محاصرا بالجراح والهموم التي لم تترك في أعماقه مجالا للسكون والراحة.

3- الرمز التاريخي في شعر عز الدين مناصرة:

لعل ما يثير انتباه القارئ في شعر مناصرة، هو تلك العناوين البارزة التي عنون بها قصائده، والتي تحيل إلى ذات واحدة تكررت في العديد منها، والتي تبين لنا أن العنوان ليست وظيفته إعطاء فكرة عن موضوع النص فقط، بل تتمثل أيضا في إثارة فضول القارئ لمعرفة مقاصد هذا العنوان عن طريق التأثير الذي يمارسه على المتلقي وصولا إلى درجة الفهم والوعي التام له.

ومن بين هذه العناوين هي: "جفرا في سهل مجدو"، " جفرا أرسلت لي دالية وحجارة كريمة"، "جفرا دثريني لأنام"، "جفرا لا تؤاخذينا"، " جفرا أمي إن غابت أمي".

فالملاحظ هنا أن هذه القصائد تتمحور حول ذات واحدة وهي شخصية (جفرا)، التي نجدها تأخذ حيزا واسعا في قصائده الشعرية، سواء في ضمن عناوين الدواوين أو القصائد أو في ثنايا القصائد، حيث جعل منها رمزا تراثيا وأسطوريا حملها العديد من الدلالات،

فالذي يثير التساؤل هنا: لماذا وظف الشاعر هذه الشخصية ؟ ومن هي جفرا التي ألهمت الشاعر لتطغى على شعره ؟ إن الاجابة عن هذا السؤال تقتضي منا تكريس مجموعة من الآليات، كالتغريض والمعرفة الخلفية ومختلف السياقات التي قد تساعدنا في عملية الفهم والتأويل.

جدول (01): يوضح حضور شخصية جفرا في شعر مناصرة

القصيدة	الصفحة
جفرا أمي، إن غابت أمي	415
جفرا لا تؤاخذينا	421
كيف رقصت أم علي النصراوية	434
جفرا دثريني لأنام	448
في مدينة تدعى سنتياغو	454

ففي قصيدته "جفرا أمي، إن غابت أمي"، يرثي فيها الشاعر محبوبته الفتاة الفلسطينية التي جاءت لزيارة بيروت، وقتلت على أحد الحواجز أثناء الحرب الأهلية في بيروت حيث يقول:

"مَنْ لَا يَعْرِفْ جَفْرَا ... فَلْيَدْفِنْ رَأْسَه
مَنْ لَمْ يَعْشِقْ جَفْرَا... فَلْيَشْنِقْ نَفْسَه
فَلْيَشْرَبْ كَأْسَ النَصْرَ الهَارِي
يَذْوِي، يَهْوِي...وَيَمُوت
جَفْرَا جَاءَتْ لِزِيَارَةِ بَيْرُوت
هَلْ قَتَلُوا جَفْرَا عِنْدَ الحَاجِزْ
هَلْ صَلْبُوهَا فِي التَابُو" (مناصرة، 2006، صفحة 415)

كما يستحضر هذه الشخصية أيضا في قصيدته (جفرا لا تؤاخذينا)، إذ يبدو في هذه القصيدة الاعتذار للوطن، وتبرير للحالة التي وصل إليها الفلسطينيون، وأن المنفى أحد الأسباب الرئيسية في ذلك يقول الشاعر:

"المَنْفَى خَشَبٌ وَمَسَامِير
المَنْفَى يَا جَفْرَا قَبْرٌ مَفْتُوح
المَنْفَى كَلِبٌ مَسْعُورْ
المَنْفَى خَوْفٌ أَوْ جُوعْ
المَنْفَى جِذْرٌ مَخْلُوعْ" (مناصرة، 2006، صفحة 421)

أما في قصيدته (جفرا دثيريني لأنام)، فهنا الشاعر المنفي يطلب من أمه جفرا أن تدثره لينام، فهو لا يحس بالأمن والاطمئنان إلا في حضن الوطن، حيث يقول:

"هَذِهِ شَجَرَةَ سرْوْ، لَمْ نَزْرَعْهَا يَا جِفْرَا
يا جفرا، لَا تَفْتَرِشِي الرَّمْلَ الأَصْفَرَ
لَا تَعْتَرِفِي بِالدِيجُور
لا تَنْسِي مِفْتَاحَ الدَّارَ
المَقْهُورُ مِنَ الغُرْبَةِ

مَا زِلْنَا مَقْهُورِين، فَهَلْ
نَقْهَرَهَذَا المَقْهُور
وَطَنِي لَيْسَ الدَامُور" (مناصرة، 2006، صفحة 448)

إن هذا الحضور البارز لشخصية "جفرا" في قصائد "مناصرة"، يجعل القارئ يقف لوهلة متمعنا أسباب هذا الحضور، كما يبين لنا أن جفرا تحتل مكانة هامة في نفوس الفلسطينيين، كونها أغنية شعبية مشهورة بعنوان (جفرا ويا هالربع)، أما في قصيدته (كيف رقصت أم علي النصراوية)، يصور الشاعر مأساة الفلسطينيين في "تل الزعتر"، كما يصور معاناتهم في الحرب اللبنانية حيث يقول الشاعر:

"يَا جَفرَا النَبْعِ وَيَا جَفْرَا القَمْح وَيَا جَفْرَا الطُيُوروَيَا جَفْرَا
الزَّيْتُون السَرِيس الصَفْصَاف
قَالَت: إِنِي مِنْ هَذَا اليَوْمِ أَخَاف
قَالَتْ جَفْرا: القَلْبُ يَرِفُ العَيْنُ تَرَفُ المَوْت أَرَاه
النَبْعُ أَرَاهُ شَدِيدَ الحُمْرَة
قَالَ الشَيْخُ الطَاعِنُ: هَذَا جَسَدِي فَخُذُوهُ
آهِ آهِ... آهِ آهِ" (مناصرة، 2006، صفحة 434)

كما نلمس أيضا حضور شخصية المسيح عيسى بن مريم، وحادثة الصلب، مثلما هي موجودة في العقيدة المسيحية حيث يقول الشاعر:

"صُبْحُ بِرِمَالٍ سَوْدَاءٍ يَليهِ الثَلِجُ المَسْكُون
فَاجَأَنِي فَارْتَعَشَ القَلْبُ المَعْطُوبُ
انْتَظَرَمَسِيحِي المَصْلوب
انْتَظَرَمَسِيحِي المَصْلُوب" (مناصرة، 2006، صفحة 434)

إذ يعرف المسيح عليه السلام بمعاناته، وتحمله أنواع الظلم والأذى، كما أنه سبيل الخلاص في العقيدة الاسلامية، وحتى في التوجه المسيحي، وبالتالي نجد الشاعر مناصرة يوظفه ليدل على ما يمر به الفلسطينيين من معاناة وظلم، وأنه سيأتي يوم ويخلصهم من هذا الغبن، لأن الفلسطيني علمته الأيام أن يستمد قوته وارتباطه بأرضه وبقائه من معتقداته الدينية، أنه يأتي يوم وسينتصر المسلمون.

خاتمة:

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج :

- استطاع الشعر الفلسطيني أن يستحضر الرمز التاريخي ويعطيه مساحة واسعة ويحوله إلى لغة رامزة تحمل دلالات وإيحاءات عميقة.
- لقد كان الغرض من توظيف الرمز التاريخي في الشعر الفلسطيني نقل الهموم والمعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، والدعوة إلى الثورة والمقاومة ودحر المحتل وذلك باستدعاء شخصيات تاريخية صنعت مجد الأمة العربية والإسلامية.
- تنوع الرمز التاريخي في الشعر الفلسطيني يُظهر مدى إلمام الشعراء بتاريخ الشعوب والحضارات القديمة فظهر الرمز الديني والأسطوري والثوري وغيرها.
- يساهم الرمز التاريخي في إضفاء سمة التماسك النصي للقصيدة الشعرية، كونه يستغرق القصيدة كاملة ويصبح المحور الذي تدور في فلكه البنيات الجزئية للنص.

قائمة المراجع:

–البرغوثي ,ت .(2012) .*ديوان في القدس* .القاهرة :دار الأطلس للنشر.

–الطويرقي ,م .م .(2009) .شعرية النبوءة بين الرؤية والرؤيا تجليات زرقاء اليمامة في الشعر العربي المعاصر .*مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها* .227 ,(02)

–المساوي ,ع .ا .(1994) .*البنيات الدالة في شعر أمل دنقل* .(Vol. 01)سوريا :اتحاد الكتاب العرب.

–خطابي ,م .(1991) .*لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب* .(Vol. 01)بيروت :المركز الثقافي العربي.

–دنقل ,أ .(1985) .*الأعمال الشعرية الكاملة* .(Vol. 02)بيروت :دار العودة.

–مناصرة ,ع .ا .(2006) .*الأعمال الشعرية الكاملة* .(Vol. 01)عمان :دار مجدلاوي.

–وآخرون ,ع .ع2014) .، .(الرمز التاريخي وحقوله الدلالية في الشعر الفلسطيني المعاصر، .*مجلة اللغة العربية وآدابها*، *03*, , 408.

السيرة الذاتية للمؤلفين

السيد: العربي بوعمران بوعلام، الرتبة: أستاذ محاضر "أ"، يدرس بكلية الآداب واللغات جامعة خميس مليانة ، التخصص: العلاج الآلي للكلام ، **متحصل على** شهادة مهندس دولة:2002م، متحصل على شهادة الماجستير سنة 2013 من قسم علوم اللسان جامعة الجزائر 02، شعبة: العلاج الآلي للكلام، متحصل على شهادة الدكتوراه سنة 2019م من جامعة الجزائر، متحصل على شهادة التأهيل الجامعي سنة 2021م ، شغل العديد من المنصب الإدارية، كما لديه العديد من المؤلفات العلمية والمقالات الأكاديمية.

السيدة: عيوش نعيمة، الرتبة: أستاذة محاضر "أ"، تدرس بكلية الآداب واللغات جامعة خميس مليانة ، التخصص: لسانيات النص ، متحصلة على شهادة الماجستير سنة 2014 من جامعة الشلف، شعبة: الدراسات الاسلوبية، متحصلة على شهادة الدكتوراه سنة 2021م من جامعة الجزائر02، متحصلة على شهادة التأهيل الجامعي سنة 2023م ، لديها العديد من المؤلفات العلمية والمقالات الأكاديمية.